الفكر التّوعوي في كتابات الهادي الحسني والبشير بوكثير

Awareness Raising Thought in the Writings of Al-Hadi Al-Hasani and Al-Bachir Bouktir

ط. د/ عبد الرحيم بن فرج

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج (الجزائر)

abderrahim.benfredj@univ-bba.dz

تاريخ الإرسال: 2022/08/30 **تاريخ القبول:** 2022/09/30

ملخص:

تسعى هذه الورقة العلمية إلى البحث في تلك الكتابات الصادرة عن أقلام جزائرية أبت إلّا أن تكتب عن واقعها المعاش، ساعية إلى التّغيير والإصلاح بما امتلكت من زمام ناصية لغة الضّاد التي تعتبر السّبيل القويّ الذي يؤثّرون به داخل المجتمع الجزائري، فكانت كتاباتهم متأثّرة جدا بما كان يكتبه علماء جمعية العلماء المسلمين من نصح وإرشاد وتوجيه وطعن وتشكيك وتفكيك لما رأوه لا يتماشى والعقيدة الإسلامية، والعقلية الجزائرية المحافظة فكانت كتابات كلّ من "محمد الهادي الحسني" و"البشير بوكثير" محطّ الدّراسة، كونهما قد سارا على خطى الجمعية كتابة ومنهجا وعقيدة.

وبذلك فإنّ الهدف المرجو من هذه الدّراسة هو تتبّع كتابات كلّ من الكاتبَين السّابقَين، واستكشاف مدى تأثّرهما بحركة جمعية المسلمين، إضافة إلى تبيين الجمالية الفنية التي صبغت تلك الكتابات، وبهذا فقد اتّبعت المنهجية التّالية: مقدّمة للتعريف بالموضوع وطرح الإشكالية، عرض بعض النماذج من كتابات الهادي الحسني والبشير بوكثير وتحليلها خاتمة تمّ فيها عرض بعض النّتائج المستخلصة من البحث.

الكلمات المفتاحية: الفكر، التّوعية، الإصلاح، التّأثير، الكتابات الجزائرية التأثّرية.

Abstract:

The present paper examines the writings issued by Algerian writers writing about Algerian reality. These writers were striving for change and reform using the Arabic language, which is considered the most powerful way to influence Algerian society. Their writings were very influenced by the writings of the Association of Algerian Muslim Scholars about reform and guidance to preserve Islamic faith and Algerian identity. Thus, the writings of "Muhammad Al-Hadi Al-Hasani and Al-Bachir Boukatir" are the focus of this study, as they followed the steps of the Association in writing, method and doctrine.

Thus, the aim of this study is to examine the writings of each of the two previous writers, and to explore the extent to which they were affected by the movement of the Muslim Association. In addition, the study aims to clarify the aesthetics that characterized those writings. The study presents the writings of Al-Hassani and Al-Bashir Boukather and their analysis. The conclusion presents some of the results of the study.

keywords: thought; awareness raising; reform; influence; influential Algerian writings.

مقدّمة:

يعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر من أبشع صور الاستعمار في العالم، والذي بلغ من الظلم ما لم يبلغه أيّ استعمار لأيّ بلد عربي آخر، فلم يكتف باغتصاب الأراضي والثروات وقتل الأنفس وزهق الدماء، بل سعى إلى طمس الهوية العربية الإسلامية للجزائريين، فكان ديدنه طيلة مكوثه الذي يزيد عن مائة سنة – بمرارتها وآلامها – غرس القيم الفرنسية، وعلى رأس ذلك تمّ تجهيل الجزائريين والسّعي إلى تنصيرهم.

ولا يزال العالم الغربي بصفة عامة يعمل على زرع روح التقليد الأعمى والمزيف والاتباع المنحرف للفكر المميت عقائديا وهوياتيا، حيث يسعى –دوما– إلى جذب المواطن العربي إلى تلك الحضارة والتطورات التي يزعم أنّها من تداعيات الموضة، ولكن ليس حبّا في تطوير العربي/ الجزائري وإنّما بهدف سلخه من ثقافته التراثية الإسلامية وحتى العربية، ونسخ روح التصهين فيه، ولكن مع ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين التي اختمرت وصارت مشروعا، بل قوّة خارقة توقظ الذات الجزائرية من غفلتها، وتفرض على الفرد التعرف على

نفسه في حضور هويته، تمّت معرفة خبايا تلك الدّعوة الفعّالة في ظاهرها والمعدمة في باطنها وقراراتها، وهو الأمر الذي وضّحته كتابات أعضاء هذه الجمعية والمتأثّرين بها.

وقد سجّلت لنا هذه الكتابات العديد من الخطابات التي جادت بها الأنامل الجزائرية بهدف تغيير الوضع المتردي، والراهن المزدري، حيث كان لهذه الإصلاحات بذراتها الإيجابية وآثارها الحميدة، لعلّ من أهمّها الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، وغرس روح المواطنة الدينية والهوياتية في نفوس الجزائريين، ليبقى الأمل في التحرر لصيقا بالذات الجزائرية.

ومن ثمّ جادت قريحة كلّ من: محمد الهادي الحسني والبشير بوكثير بعملين أدبيين مختلفين عن الأعمال الأدبية الأخرى، مراهنان على خوض سبيل التّجريب الفني، متجاوزان الرّاهن، وباحثان عن المتميّز دوما، فنجد الأوّل (الحسني) قد سار على نهج الإبراهيمي في خوض غمار فن المقال، والذي سعى من خلاله إلى تغيير الواقع المتردي كما كان يسعى الإبراهيمي إلى الإصلاح في الأمور المختلفة، أما الثّاني (بوكثير) فقد رجع إلى عصر التطوّر والازدهار الأدبي، متأثّرا بكبار المبدعين في العصر العبّاسي، حاملا لواء الكتابة المقامية هادفا إلى إيصال رسالته المقصدية، ساعيا إلى نشر دعواه الإصلاحية، منتهجا خطى علماء الجمعية، ولذلك كانت بعض مقاماته تحمل بين طيّاتها سبل الإصلاح التربوي والاجتماعي داخل المجتمع الجزائري على اختلاف مستوياته، فجاءت كتاباته بنبرة خطابية إرشادية حينا وغاضبة أحيانا، وضاربة في الأعماق أحايين أخرى، ولكنّها تهدف في مجملها إلى تغيير الواقع الجزائري الذي كاد أن يكون مصبّا لتلك الشحنات الغربية السّالبة والسّلبية، ومفرغة لاحتواء الثّقافات المزيّفة دون تمحيص ولا غربلة، ولمّا كان الهدف من وراء هذه الدّراسة هو الوصول إلى معرفة إن كان الكاتبين قد تأثّرا بالجمعية وأثّرا في المجتمع، فإنّه بإمكاننا أن نطرح التّساؤلات التّالية: هل تمكّن كل من الهادي الحسني والبشير بوكثير من أن ينتهجا ما كانت تسير عليه جمعية العلماء؟ وهل استطاعا أن يؤثّرا في المجتمع من خلال ما قدّماه من كتابات؟

1/ الفكر الإصلاحي عند الهادي الحسني:

يعتبر الهادي الحسني أحد الفاعلين المتأثّرين بفكر جمعية العلماء المسلمين، حيث أنّ المتأمّل في كتاباته يجده يسير على خطى العلامة محمد البشير الإبراهيمي، إذ كان له الفضل في إعادة بعث الجريدة السّامية (البصائر) وإعادة نشرها، وفي هذا الصّدد يقول: «جريدة

البصائر التي خطّت الأقدار في صحيفتي أن أكون أحد الذين بعثها الله على أيديهم، وأحياها بمجهودهم وهي تستروح روح البصائر، وتقتبس من نورها، وذلك لأنّني ارتويت من معين "البصائر" العذب الزلال، وغذيت من عسلها المصفى، أعني مقالات إمام البلاغة وفارسها في هذا العصر، الإمام البشير الإبراهيمي»(1)، فكان أحد أعمدة فن المقال في الجزائر، يسعى من خلال كتاباته إلى بعث الأمّة الجزائرية نحو المجد، وإحياء العقول التي قُتلت وبالا وخبالا.

ويبرّر الحسني سبب توجّهه إلى كتابة المقال فيقول: «لم أكتب هذه الكلمات قتلا للوقت، ولم أسطّرها ملئا للفراغ، وإنّما عصرتها من قلبي عصرا ذودا عن أفكار، ودفاعا عن قيم، وإحياءً لشيم، وجدالا عن دين وإشادة برجال، وفضحا لخونة، وكشفا عن مؤامرة واعتزازا بأمّة كانت تناطح السّحاب، وإن أصبحت اليوم في التّراب وحقَّ لها أن تعود في ملتها، لتعود سيرتها الأولى، وافتخارا بوطن كان يرهب الإمبراطوريات، وقد التزمت فيما كتبت الموضوعية ما استطعت، وأستغفر الله فيما فيه أخطأت، وأستسمح من إليه أسأت وفي حقّه قصّرت، ولقد تعمّدت هذا الضّرب من الكتابة لأنّي قدرت أنّه أكثر تأثيرا من الكتابة الأكاديمية التي لا يقبل عليها إلا قليل، وقد حدث ما توقّعت، وجهلت ما قدرت فتقبّل كثير من النّاس هذه المقالات قبولا حسنا وشجّعوني مشافهة ومهاتفة، ومكاتبة على الاستمرار في هذا المنهج»(2)، الذي رأوا فيه السّبيل إلى التّجديد والإصلاح، والذّهاب بالأمّة الجزائرية إلى النّجاح والفلاح، فهو منهج أصبح حاجة ملحّة تفرضه ظروف الواقع المعاش، واقع وجب أن يتغيّر ويواكب طليعة التقدّم والرّقي.

وقد كان له أسلوب الواعظ الماهر في تناول الموضوعات الحساسة، وسعى للخوض فيها وإعطائها بعدا إصلاحيا في صياغة أدبية جمالية، وهذا ما ذكره عنه أبو القاسم سعد الله، إذ قال: «لقد وهب الله للحسني حاسة لاقطة وشجاعة فائقة في تناول الموضوعات الحسّاسة بأسلوب الواعظ الماهر، والدّارس الاجتماعي البارع، والأديب البليغ، وكان لكلّ كاتب خطّ فكري يسير على هداه، فالخطّ الذي سار ويسير عليه الحسني هو خط ابن باديس ومنهج جمعية العلماء، ولكن في ثوب جديد وتوب قشيب»(3)، حتّى يتمكّن من نشر رسالته النّبيلة التي يسعى من ورائها إلى التّغيير الجذري بالتّدريج شيئا فشيئا.

ومن الموضوعات التي خاض فيها الحسني نجد موضوعة العلم التي تعدّ الأسّ والنّبراس بل الهواء الأساس الذي تحيا به الأنفاس، ففي مقالته الموسومة (كاد المعلّم أن يكون...) والذي كتبه بمناسبة إحياء اليوم العالمي للمعلّم، فيقول فيه: «إنّ مهمّة المعلّم هي أنبل المهن وأشرفها وكيف لا تكون كذلك وهي مهنة خير الخلق كلّهم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ القائل: "إنّما بعثت معلّما"»[4]، فالحسني من خلال قوله هذا يركّز ويشدّد على تلك المكانة الرّفيعة التي يحظى بها المعلّم، ويؤكّد بأنّ مهنة التّعليم من أنبل المهن، ففيها تجسيد لأمر الله تعالى "اقرأ"، حيث أنّ المعلّمين هم صفوة ونخبة المجتمع، لما يملكونه من ناصية لغة الضّاد لإصلاح أحوال البلاد والعباد.

لينتقل بعد ذلك إلى التّعريج على وصف الظّروف المزرية التي يعيش فيها المعلّم، تلك الظّروف المادية والمعنوية التي يحياها بالرّغم مما يقوم به، فهو يعيش في خانة التّهميش مقارنة بحياة التّرف التي يحياها بعض الجهلة، ويرجع الحسني أسباب هذا التّهميش إلى أهل المهنة الذين لم يحترموها ولم يحترموا أنفسهم، فكيف ينتظرون الاحترام من الطّرف الآخر فيقول: «ليعلم إخواننا المعلّمون، أنّهم معنيون – قبل غيرهم – بتغيير ما بأنفسهم فيغيّر الله ما بهم وتتغيّر نظرة غيرهم إليهم، وعيدكم سعيد رغم شقائكم»[5]، فمهنة التّعليم لا يقوم لها أساس إلّا إذا أقامها أهلها، وأخرجوها من بين فرث للجهل والكسل ودم للفساد والكساد وصبروا وصابروا رغم كيد الحاقدين الحاسدين، وإلا فإنّها تصبح مهنة حقيرة يتطاول عليها وعليهم من هم ليسوا بأهل لها.

وفي مقال له بعنوان (خيرية مشروطة) نجده يقول: «فالمسلمون اليوم من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، إن سُمُّوا مسلمين وانتسبوا إلى الإسلامية، ليسوا خير أمّة لما شاع من منكرات، إنّي لا أمارس عملية تيئيس ولكنّي أتكلّم عن واقع يجب أن نعترف به لنتدارك حالنا قبل أن نعضّ على أيدينا...»[6]، وهنا نجد الحسني بمثابة الإمام المرشد الواعظ، ذلك أنّه يريد تغيير واقع المسلمين الذين أضحوا منتسبين إلى الإسلامية شكلا وفقط، دون أن يتحلّوا بمبادئ الإسلام وقواعده الشّرعية، كما أراد أن يأخذ بيدي هذه الأمّة إلى طريق البرّ والأمان التي أوصى بها الدّين الإسلامي، وهذا بعد ما سلكت طريق الضلال والخسران وذلك قبل السقوط في معمعة النّدم يوم لا ينفع النّدم.

أما في مقاله المعنون (الوحدة الوطنية) الذي يقول فيه: «يجب لو كنّا نسمع أو نعقل أن نجعل الحديث عن الوحدة الوطنية والعمل بها ليس كالخبر الذي يستطيع أن يستغنى عنه فترة من الزمن، وليس كالماء الذي يمكن أن نصبر عليه يوما أو بعض يوم، ولكن يجب أن يجعل هذا الحديث عن الوطن أو العمل به كالهواء لا يمكن أن نحيا من دونه طرفة عين ولا أقلّ من ذلك»(7)، وبذلك نجده هنا من أولئك الذين نظروا إلى هذا الوطن – الجزائر – نظرة قومية وألفوه أمّة تقتضي التّكافل والتّكامل في شتّى الميادين، وعلى أهلها أن يؤمنوا بضرورة هذا التّكافل والتّآزر نظرا لتلك الظروف التي عاشها هذا الوطن بدءا من الاستعمار الذي أتى على الأخضر واليابس، وفي هذه المقولة تذكير وتشديد على زرع روح التّعاون والتّكامل داخل الوطن، كونه الهواء الذي نتنفّس والماء الذي نشرب، فكما تنعدم الحياة بدون ماء وهواء، فكذلك تنعدم الحياة بدون وطن آمن ومستقر، وفي صدد ما أشار إليه الحسني نستذكر أبيات الشّاعر محمد العيد آل خليفة الذي قال:

نبني العروبة من جديد قلعــة *** من حولها قصف المدافع يرعـد
فلتحيَ وحدتنا بها في منعــة *** ومن المحيـط إلى الخليـج تمـدّد
وليحيَ في ظلّ العروبة ودّنــا *** ملء القلوب وعهدنا المتأبّـــد(8)

ويرى في مقاله الموسوم (الحضارة المنشودة) بأنّ الحضارات قد نمّت شيئا وضيّعت أشياءً فيقول: «إنّ الحضارات التي عرفناها (...) إنّما نمّت جانبا وتركت غيره وهي بذلك كمن يعطي شيئا بيمينه ويأخذ أشياء بشماله، وأنّ ذلك ليظهر في أجلّ صورة في هذه الحضارة المعاصرة التي أرهقت الإنسان بقدر ما يسّرت له حياته المادية، ويكفيها سوءا أنّها جرّعته مرارة حربين عالميتين»(9)، أنهكت العالم برمّته، لذلك أراد أن يعظ المجتمع بأن يضع حدّا لتلك التطوّرات التي تكون انعكاساتها سلبية داخل المجتمع، وبخاصّة المجتمعات العربية الإسلامية المحافظة، والتي يمكن أن تزيغ بها العولمة إلى ما لا يحمد عقباه، فتحيد عن الثّوابت التي تحكمها، والمتأمّل في المقولة يجد الحسني من دعاة التطوّر ولكن بحذر؛ أي شريطة عدم التّخلي عن الثّوابت العقائدية والوطنية، والزحف وراء الحضارة بإيجابياتها وسلبياتها.

كما نجد الهادي الحسني قد التزم بقضايا الأمّة العربية المختلفة، فنراه قد انتقل من بلده الأم إلى بلده الثّاني (فلسطين)، وراح يكتب عن تلك الدّيار المقدّسة متابعا ومتفاعلا

مع أحداثها، وهو ما نلحظه في مقالته المعنونة (ستعود فلسطين) حيث يورد فيها تاريخ ذلك البلد المقدّس الذي عاثت فيه أقدام اليهود الغاصبين خرابا ودمارا، ويحلّي مقالته هذه بشيء من التّفاؤل بعودة فلسطين إلى أصحابها وزوال اليهود الطّاغين، وفي هذا الصّدد يقول: «وإنّنا نؤمن أنّ فلسطين لن تعود إلى أصحابها على طبق من ذهب، ولكنّها ستعود بعد أن يُبذَل في سبيلها الغالي من الرّجال، ويراق على سهولها وجبالها الكريم من الدّماء (...) إنّ كثيرا من النّاس يرون عودة فلسطين بعيدا، ولكنّنا نراه قريبا، ولن يخلف الله وعده بنصر من ينصره»[10]، وهذا النّصر لن يكون إلّا بالمقاومة وعدم الرّضوخ، فالمتأمّل في قول الحسني يجده ذا نبرة خطابية حماسية، تهدف إلى زرع روح الشّجاعة والمقاومة لدى الفلسطينيّين ضد الصهاينة، نبرة تحمل في ثناياها بعضا من الشّحنات الإيجابية التي يجب أن يتسلّح بها الفلسطيني ليتمكّن من استرجاع أرضه، وتحرير المسجد الأقصى من الطّغاة.

2/ التّوعية الفكرية والاجتماعية في كتابات البشير بوكثير:

يعتبر البشير بوكثير من المتأثّرين المعاصرين بعلماء الجمعية، حيث سار على نهج إمام البلاغة والبيان محمد البشير الإبراهيمي، وهذا واضح من خلال العنوان الذي اختاره لمقاماته الموسومة (مقامات بشائرية)، وقد صرّح بهذا في مقدّمة كتابه بقوله: «أسميت هذا المولود "مقامات بشائرية" تيمّنا باسم جدّي الأكبر وباسمي الأصغر، راجيا من المولى عزّ وجلّ أن يجعل طريقها للقَبول، في القلوب والعقول، كما عرفت كتابات جدّي الأكبر طريقها للوصول، فحقّقت المنشود والمأمول...»[11]، في نشر بذور الإصلاح داخل المجتمع، وتنوير العقول بعد ما خيّم فيها وعليها الجهل.

وقد كتب في إصلاح أمور العلم والتربية التي يراها الأساس والعماد لكلّ حضارة من الحضارات، وهو ما أورده في مقامته الموسومة (المقامة الأستاذية)، حيث قال: «إنّ العلم أساس كلّ حضارة، ووهج كلّ منارة، وعمود كلّ تمدّن، وركن كلّ رقي، ومنبع كلّ نور وضي، به يسمو العقل الذّكي، ويتضوّع الورد الشّذي، فيبلغ ما بلغ الضّوء السّني، في الكوكب الدرّي.

فما خابت بلاد مجّدت العلم ونشرت أفنانه، وما اندرست ولا هانت حواضر تنشّقت عبقه وقوّمت أغصانه، وما ماتت حضارات أقامت صروحه ووطّدت بنيانه وأركانه»(12) فهنا نجده يعلي من مقام العلم وأهله الذين يبنون الحضارات، ويرشد النّاس إلى أنّ البلاد التي تمجّد العلم لا تخيب ولا تزيغ، فبه ظهرت وتطوّرت، وبه تستمر في الشّموخ والرّقي.

ثمّ ينتقل إلى مهنة التّعليم التي يمارسها هو نفسه فيقول: «نعم زملائي في الطّبشور والسّطور، وفي الهمّ والغمّ ... إنّ مهنتكم مهنة الأصفياء، الأتقياء، الأنقياء، وإنّ رسالتكم رسالة الأنبياء، لا يتحمّل أعباءها ويؤدّها تمام الأداء، إلا من امتلك ناصية لغة الضّاد، وزمام علوم التّربية وعلم النّفس وهمّة الأجداد، وجُبِل على قوّة الشّكيمة، ونفاذ البصيرة، وحصافة الرّأي، وسلامة الذّوق، وخفّة الرّوح، واعتدال المزاج، وبراءة الطّفولة، والجَلَدِ والصّبر، والحِلم والتّحفيز والشّكر (...) فكن مربّيا حليما، ومعلّما حكيما، وأستاذا رحيما، تنل أجرا عظيما»(13)، فالمعلّم حسب رأي صاحب المقامة هو حامل رسالة وجب عليه أن يؤدّيها تمام الأداء؛ لأنّه من زمرة الأصفياء والأتقياء الأنقياء، فإن كان مربيّا حليما، ومعلّما حكيما، وأستاذا رحيما، نال أجرا عظيما، وهذا الأجر لا يتأتّى من فراغ وإنّما بالصّبر والشّكر، وإن خان هذه الأمانة ولم يؤدّها كما ينبغي، انزاح عن هذه الزّمرة الشّريفة، ألا وهي زمرة العلم وأهله، وتكمن الجمالية هنا في براعة التّصوير الذي قدّمه المقامي للأستاذ.

أمّا في (المقامة الطلابيّة) نجده يقول: «واعلموا أبنائي التّلاميذ: أنّ من بكّر للصّيد قنص، واغتنم أجلّ الفرص. فتعوّدوا التّشمير والتّبكير، تنالوا من العلوم وصفاء الذّهن الخير الوفير... أي أبناء المدارس، يا حملة الأقلام والنّفائس، وأصحاب الطّروس والكراريس، وأتراب الدّفاتر والفوانيس...

أيّها الطّالب الجزائريّ:

أتمثّلك ذا قلب نقيّ، وعقل ذكيّ، وخلق حييّ، وأصل زكيّ.

أتمثّلك صانعا للحياة، مثل الزّهر والنّبات، يسير بعزم وثبات، فتورق بين قدميه ربوع الفلاة.. فهو سليل الأمجاد الأباة..

أتمثّلك فارس الفرسان يوم الطّعان، وحارس الضّاد والبيان، حين تتلاقح الأفكار على عود الجنان، محافظا على إرث "ابن باديس" و"الإبراهيميّ" و"شيبان"...»(14)، فهذا هو حال

الطالب الجزائريّ كما تصوّره أو تمثّله المقاميّ، والملاحَظ في هذا التمثّل أنّه بدأ بالتدرّج شيئا فشيئا كمن يلقّن العلوم تدريجيا، فقوله: "أبنائي التّلاميذ وأبناء المدارس" يوحي إلى تلاميذ الابتدائي والمتوسّط وحتى تلاميذ السّنتين الأولى والثّانية من التّعليم الثّانوي لصغر سنّهم وقوله: "أيّها الطّالب الجزائريّ" يوحي إلى طلبة السّنة الثّالثة ثانوي وطلبة الجامعات، وقد ركّز على هذه الفئة الأخيرة ووضعها صوب عينيه؛ كونها أصبحت تيمة بين المحمود والمردود وبين الفضائل والرّذائل، فأراد أن يعطيه (الشّاب) هذه الخصال الحميدة لكي لا ينزاح عن المألوف الذي كان معروفا لديه ولدى من يعرفونه من قبل، فمرحلة الثّانوي أو المرحلة الجامعية يحسّ فيها الطّالب باكتمال الرّجولة لديه، وأنّه أصبح حرّا فيما يفعله، ومن خلال هذا التمثّل يمكن له أن يغيّر من الرّوتين الذي كان سائدا من قبل وإلا وقع في المحظور الذي من شأنه أن يزعزع الحياة الجميلة والنّاعمة التي يتمتّع بها الشّباب.

وجمالية المقامتين معا تكمن في قدرة الرّبط والاستمرار في تقديم الوعظ والإرشاد لطرفي العملية التّعليميّة التّعلّمية، التي تكمن في (المعلّم والمتعلّم)، وهذه الكلمات وإن كانت تُدرَج في مجال دينيّ أقرب منه إلى الأدب، إلا أنّها أدّت وظيفتها وبَلَغَت الهدف المنشود والمرمى المقصود، وزرع الثّقة بالنّفس بين المعلّم والمتعلّم لتأدية عملية تعليمية تعلّمية هادفة وسليمة وهذه الثّنائية التي استنتجناها بعد عرض المقطعين من خلال المقامتين يمكن رسمها كالآتي:

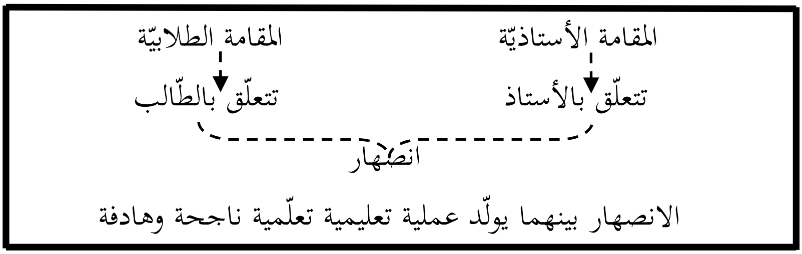

وفي (المقامة الشّبابية) التي كتبها للشّباب عامّة والجزائريّ خاصّة، نجده قد خصّص كلامه لفئة معيّنة، وهي الفئة التي واكبت العصر والموضة، ولكن أيّة موضة هذه؟ فأصبحت سراويلهم غير التي كانت من قبل، وحلاقتهم كأنّها زخرفات على ورق، وهلمّ جرّا، وهذا ما أدّى بصاحب المقامة إلى أن يلجأ إلى الخطبة التي قالها على لسان البشير السّيحمداني ناصحا فيها الشّباب، فيقول: «أيّها الفتى العنيد.. سأحدّثك – توّا – بلغة صريحة فصيحة بعيدا عن الألفاظ السّخيفة القبيحة.. فاحفظ عنّي، ولا تخيّب ظنّي..

أتمثّل الشّباب الجزائريّ الأبيّ، ذا قلب نقيّ، وعقل ذكيّ، وخُلق حييّ، وأصل زكيّ..

أتمثّله فارس الفرسان يوم الطّعان، وحارس الضادّ والبيان، حين تتلاقح الأفكار على عود الجنان، محافظا على إرث "ابن باديس" و"الإبراهيميّ" و"شيبان"..

أتمثّله "سيبويهيّا"و"جنّيّا" في النّحو والإعراب، و"رشديّا" في المنطق وفصل الخطاب، و"بوطيّا" يجوب الآفاق بفكره الخلّاب..

أتمثّله "إبراهيميّا" في السّجع الجميل، و"باديسيّا" في الفكر الأصيل، لا "باريسيّا" في الفكر الدّخيل..

أتمثّله "أدهميّا" في الصّوامع، و"قطزّيّا" في المعامع، و"سيوطيّا" في همع الهوامع، و"أصمعيّا" في تتبّع الأخبار وتدبيج الرّوائع...»[15].

وهكذا يجب على الشّباب أن يكونوا أو لا يكونوا، فهم زهرة الحياة، وللمجد بناة وهازمي الطّغاة، وقد كان لهذا المقطع من الخطابة أثره البالغ في توصيل رسالة هادفة لفئة مهمّة من فئات المجتمع/ الجزائريّ، فإن أخذوا بها تستقيم رؤيتهم، وتَصلُح بصيرتهم، وينمو فكرهم، ويُستَشرَف مستقبلهم، وأمّا إن حادوا عنها ومالوا كلّ الميل فقد خسروا خسرانا كبيرا.

ومنه، فإنّ جمالية هذا المقطع الخطابيّ تكمن في النّصح والإرشاد والتّوجيه الذي من شأنه أن يخلق جوّا مفعما بالحياة والحيوية لفئة الشّباب ويخرجهم من طغيانهم الذي هم فيه باتّباعهم ما ليس من ثقافتهم ولا من عقيدتهم، كما تكمن الجمالية أيضا في المحاولة لترسيخ ثقافة الأوّلين في الشّباب الحالي كالثّقافة الإبراهيميّة أو الباديسيّة مثلا، كونها مرتبطة بالعقيدة الإسلامية أوّلا وبالتّراث العربيّ/ الجزائريّ القديم ثانيا.

أمّا في (المقامة الإيشانيّة) التي تُنسب إلى فيلم الطّفل إيشان نجده يقدّم نصائح جمّة ومهمّة للكبار بأن يعتنوا بالصّغار ويربّوهم أحسن تربية، فهم الجيل الصّاعد وشباب المستقبل، فقال: «أيّها الكبار... اتركوا هذه البراعم تنمو نموّا طبيعيّا سلسا..

اتركوهم يشقّون طبقة التّربة الصّلبة والسُّبخة المالحة ليناطحوا الجوزاء في زهو وخيلاء..

اتركوهم يتطلّعون للسّؤدد والعلياء وفق نواميس ميولهم البريئة مع قليل من التّوجيه السّديد لا الرّدع الشّديد.. لأنّهم خُلِقوا لزمن غير زماننا..

اتركوهم يرسمون بالسّوسن والرّيحان، ويُبرشقون أحلامهم بشقائق النّعمان، ويزركشون حياتهم بالجوريّ والأقحوان..

اتركوهم يعزفون على قيثارة الحياة أعذب الألحان، وأشجى مواويل القريض والبيان.
اتركوهم يرسمون، يخربشون، يكتبون، ولأحلامهم يخطّطون ويسطّرون...»[16]

فهو يحثّ على الاعتناء بفئة الأطفال الصّغار، فهم كالورود التي تطمح أن تبقى مطوّلا في هذه الحياة، والطّفل عند علماء الاجتماع هو «الصّغير منذ ولادته وإلى أن يتمّ نضجه الاجتماعيّ والنّفسيّ وتتكامل لديه مقوّمات الشّخصيّة وتكوين الذّات ببلوغ سنّ الرّشد دونما الاعتماد على حدّ أدنى أو أقصى لسنّ الطّفل»[17]، فالعوامل النّفسيّة والاجتماعيّة هي التي تتدخّل في تحديد مرحلة الطّفولة وليس عامل السنّ، وهذا ما أحالت إليه (المقامة الإيشانيّة)، فالطّفل برعم يانع مرن، وجب الحفاظ عليه لكي لا يُكسر ولا يُقهر، ومن هنا يمكن إعطاء خطاطة نوضّح من خلالها مراحل تطوّر الإنسان، بدءا من مرحلة انعدام الإدراك إلى غاية مرحلة الإدراك التّام، وكلّ مرحلة محدّدة بسنّ معيّن، وهذه المراحل لا تأتي من فراغ ولكن لها قواعد وضوابط وشروط تخضع لها، وهي تحدّد من قبل الجهات القضائية والقانونية، التي تكيّفها وفق العوامل التي يخضع لها المجتمع، وتقنّنها بمواد معيّنة، وهذه المراحل كالآتي[18]:

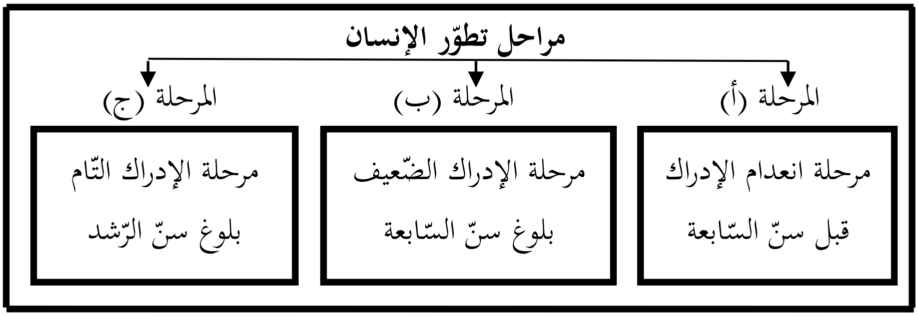

ومنه فإنّ هذه المقامة قد أدّت واجبها نحو فئة الأطفال الذين وَجب الحفاظ عليهم والاعتناء بهم، امتثالا لما جاء في القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف وفي الأقوال المأثورة كذلك، وتكمن جماليتها في المفارقة التي أتت بها والتي تعكس ما جاءت به (المقامة الشّبابية) والجميل أنّ التّسميتين متقاربتين أيّما تقارب (الشّبابية/ الإيشانيّة).

خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية يمكن القول: إنّ البذور التي زرعها علماء الجمعية قد أينعت ثمارها لدى السّائرين على نهجهم وخطاهم أمثال محمد الهادي الحسني والبشير بوكثير؛ فالأوّل قد ساهم في إعادة النّور لجريدة البصائر وإخراجها من غياهب النّسيان والهجران، كما أنّه سار على نهج الإبراهيمي في خوض غمار فنّ المقال الذي سعى من خلاله إلى نشر دعواه الإصلاحية وإعادة بعث قيم الأمّة الجزائرية إلى النّور الاجتماعي بعد طول الظّلام الذي خيّم فيها وعليها، وأمّا الثّاني فنجده قد عاد في كتاباته إلى عصر عرفت فيه الأمّة العربية أوجّ التطوّر والتقدّم، لينتهج سبيل أحد علمائها في الكتابة، فأبى إلّا أن تكون المقامة هي المتنفّس الوحيد الذي يستطيع أن يعبّر به عن نشر تلك الشّحنات الإصلاحية داخل المجتمع الجزائري لتغيير الوضع الاجتماعي والثّقافي، فكانت كتاباته بمثابة الموجة التي تدفع بالواقع المرير وتأتي بالواقع الذي يضمن الرّفاهية على مستوى الأصعدة المختلفة، وبهذا فإنّ كلّا من الهادي الحسني والبشير بوكثير قد انتهجا خطى علماء الجمعية لتأثّرهما الذى تجلى في كتاباتهما التي هي بدورها أثّرت في المجتمع ولو بالقليل.

ومن خلال ما تمّ طرحه يمكننا عرض جملة من التّوصيات هي:

- ✓ ضرورة الاهتمام بالمنجز الأدبي الجزائري الذي يسعى إلى التّغيير والإصلاح.
- ✓ الإقبال علي كتابات كل من: الهادي الحسني والبشير بوكثير وتناولهما بالدّراسة والتّحليل، وذلك بغية استخراج القيم الإصلاحية التي تهدف إلى التّغيير داخل المجتمع الجزائري خاصّة والعربيّ عامّة.
- ✓ وجوب العناية بأعلام الجزائر الذين يهدفون بمنجزاتهم إلى زرع روح التّغيير والتّجديد على كلّ الأصعدة (سياسية، ثقافية، اجتماعية واقتصادية...)، والعمل على تشجيعهم فيما يسعون إليه.

الهوامش والإحالات

(1)- محمد الهادي الحسني، من وحي البصائر، تقديم: محمد صلاح ناصر، دار الأمّة للنّشر والتّوزيع الجزائر، ط1، 2004، ص11.

(2)- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

(3)- مدوّنة الهادي الحسني الإلكترونية www.veecos.net

(4)- محمد الهادي الحسني، كاد المعلّم أن يكون..، جريدة البصائر، العدد21، (16 أكتوبر 2000)

(5)- المصدر نفسه

(6)- محمد الهادي الحسني، أشعّة الشّروق، دار الأمّة للطّباعة والنّشر، الجزائر، ط1، 2012، ص116

(7)- محمد الهادي الحسني، أحداث وأحاديث، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013، ص14

(8)- سماح بن خروف، من قضايا الأدب الجزائري الحديث، دار الباحث، برج بوعريريج، الجزائر، ط1 2021، ص45

(9)- محمد الهادي الحسني، أشعّة الشّروق، مصدر سابق، ص138.

(10)- محمد الهادي الحسني، ستعود فلسطين، جريدة البصائر، العدد01، (من 22 إلى 29 ماي2000).

(11)- البشير بوكثير، مقامات بشائرية، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، (دط)، 2022، ص06.

(12)- المصدر نفسه، ص69.

(13)- المصدر نفسه، ص70.

(14)- المصدر نفسه، ص(82. 84).

(15)- المصدر نفسه، ص (153. 154).

(16)- البشير بوكثير، مقامات بشائرية (مخطوط)، رأس الوادي، برج بوعريريج، الجزائر، (دط)، 2013 ص117.

(17)- منتصر سعيد حمّودة وبلال أمين زين الدّين، انحراف الأحداث (دراسة فقهيّة في ضوء الإجرام والعقاب والشّريعة الإسلامية)، دار الفكر الجامعي، الإسكندريّة مصر، (دط)، 2007، ص24.

(18)- ينظر: عبد القادر عودة، التّشريع الجنائيّ الإسلاميّ مقارَنا بالقانون الوضعيّ، دار الكتاب العربيّ بيروت، ج1، (دط)، (دت)، ص601.